مؤلف: **مجموعة مؤلفي بيان الإسلام**
مصدر: **موسوعة بيان الإسلام**
لتاريخ: **20/08/2020**

نص السؤال

دعوى كون القرآن وحيًا نفسيًّا من خيال النبي صلى الله عليه وسلم

الجواب التفصيلي

دعوى كون القرآن وحيا نفسيا من خيال النبي صلى الله عليه وسلم (*)

ون الشبهة:

عليه وسلم - كان رجلا عبقريا، ذا خيال واسع، وإحساس عميق، وكثيرا ما كان وجدانه يطغى على حواسه حتى يخيل إليه أنه يرى ويسمع شخصا يكلمه، وما تلك إلا صورة من وحي أخيلته ووجدانه؛ وعليه فليس هذا

في ذلك كله يرمون إلى الطعن في سلامة القرآن وإلى التشكيك في نسبته لله - عز وجل - وإلحاقه بوجدان النبي - صلى الله عليه وسلم - وأخيلته؛ بغية تزهيد المسلمين فيه وتشكيكهم في أحكامه وأوامره ونواه

إبطال الشبهة:

1) ليس كل ما في القرآن مما يمكن للعقل أن يستنبطه، وإطلاق هذا الكلام على جملته يكتنف كثيرا من التعميم والتعامل غير المسوغ؛ ذاك أن في القرآن ما فيه من المعاني الإخبارية والعلمية والغيبية وكلها

2) لو كان القرآن وحيا نفسيا لما رأى النبي - صلى الله عليه وسلم - جبريل - عليه السلام - بعيني رأسه على صورته الحقيقية ولما أصابه ما أصابه حين نزل عليه من خوف ورعب، ولما انقطع عن ذلك الوحي ا

ل:

س كل ما في القرآن مما يمكن أن يستنبطه العقل:

لى ([1]) وأمام تلك التفاصيل الدقيقة حتى في الأرقام - في قصة نوح - عليه السلام - وقصة أصحاب الكهف - لا يستطيع عاقل أن يقول بأنه - صلى الله عليه وسلم - استوحى عقله واستلهم ضميره في رواية ه

اكها: الحقائق الدينية الغيبية، فنجد القرآن شارحا حدود الإيمان مفصلة، واصفا بدء الخلق ونهايته، والجنة ونعيمها، والنار وعذابها، والملائكة... إلى آخر هذه الأمور، فعلى أية قاعدة أو نظرية عقلية بنيت تلك الحقا؛

لقرآن عن النبوءات المستقبلية التي أخبر بها الواقع بعد ذلك. وبت القرآن في تحديده، وصرامته في الجزم بوقوع ما تنبأ به، وبعد ما أخبر به عن المقدمات والأمارات الظنية، خير شاهد على انتفاء أن يكون القرآن

هام ([3]).

هم:

(وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا (5))

(الفرقان).

رة.

لقاء الأول بين النبي - صلى الله عليه وسلم - وجبريل، وما أصابه - صلى الله عليه وسلم - بعد ذاك اللقاء؛ ليقف على ثنائية الملقي والمتلقي، ويدرك انفصال ذات النبي - صلى الله عليه وسلم - عن ذات جبريل ء

- وهو في غار حراء بجبريل أمامه يراه بعينه، وهو يقول له: اقرأ، حتى يتبين أن الوحي ليس أمرا ذاتيا داخليا مرده إلى حديث النفس المجرد، وإنما هو استقبال وتلق لحقيقة خارجية لا علاقة لها بالنفس وداخل ال

ة التي تنفي فكرة الوحي النفسي:

1. لو كان حديثا نفسيا لما داخله الخوف والرعب!

عب مما سمع ورأى، حتى إنه قطع خلوته في الغار، وأسرع عائدا إلى البيت، يرجف فؤاده، لكي يتضح لكل مفكر عاقل أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لم يكن متوقعا للرسالة التي سيدعى إلى حملها، وبثها

الإشراق الروحي، أو التأملات العلوية، لا يستدعي الخوف والرعب وتغيير اللون، وليس ثمة انسجام بين التدرج في التفكير والتأمل من ناحية، وبين مفاجأة الخوف والرعب من ناحية أخرى، وإلا لاقتضى ذلك أن يعيا

رعب ورجفان الجسم وتغير اللون، كل ذلك من الانفعالات القسرية التي لا سبيل إلى اصطناعها، حتى لو افترضنا - جدلا - إمكان صدور المخادعة والتمثيل منه - صلى الله عليه وسلم - وفرضنا المستحيل من انفلا

2. لو كان حديثا نفسيا لما خشي على نفسه أن يكون الذي رآه آتيا من الجن!

تجلى مزيد من صور المفاجأة المخيفة لديه - صلى الله عليه وسلم - في توهمه أن هذا الذي رآه وغطه وكلمه في الغار قد يكون آتيا من الجن؛ إذ قال لخديجة بعد أن أخبرها الخبر:

«لقد خشيت على نفسي».

([4])

يدة.

درا أن يربط على قلب رسوله، ويطمئن نفسه بأن هذا الذي كلمه ليس إلا جبريل - ملك من الملائكة - جاء ليخبره أنه رسول الله إلى الناس، ولكن الحكمة الإلهية اقتضت إظهار الانفصال التام بين شخصية محمد -

3. لو كان حديثا نفسيا لما انقطع عنه بعد المرة الأولى مدة ستة أشهر:

أما انقطاع الوحي بعد ذلك وتلبثه ستة أشهر - أو أكثر على الخلاف المعروف فيه - فينطوي على حكمة بالغة، وقد قضت الحكمة الإلهية أن يحتجب عنه الملك الذي رآه لأول مرة في غار حراء مدة طويلة، وأن يه

ل الله سبحانه وتعالى:

(يا أيها المدثر (1) قم فأنذر (2)) (المدثر»

([5]).

حالة التي مر بها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - تجعل مجرد التفكير في كون الوحي إلهاما نفسيا ضربا من الجنون؛ إذ من البداهة بمكان أن صاحب الإلهامات النفسية، والتأملات الفكرية لا يمر إلهامه أو تأمل

بعد ذلك، وهو بين الكثير من أصحابه فلا يرى الملك أحد سوى النبي صلى الله عليه وسلم؟ والجواب: أنه ليس من شرط وجود الموجودات أن ترى بالأبصار؛ إذ إن وسيلة الإبصار في البشر محدودة بحد معين، وإلا لا

الصدد: "إن عمى الألوان مثل يقدم لنا حالة نموذجية لا يمكن أن نرى فيها بعض الألوان بالنسبة لكل العيون، وهناك أيضا مجموعة من الإشعاعات الضوئية دون الضوء الأحمر، وفوق الضوء البنفسجي لا نراها أعيننا،

مرار الوحي بعد ذلك ما يحمل الدلالة على حقيقة الوحي، وينفي ما روجه المشككون من أنه ظاهرة نفسية محضة، ونستطيع أن نجمل هذه الدلالة فيما يأتي:

ن القرآن والحديث، إذ كان يأمر بتسجيل الأول فورا على حين يكتفي بأن يستودع الثاني ذاكرة أصحابه، لا لأن الحديث كلام من عنده لا علاقة للنبوة به، بل لأن القرآن موحى به إليه بنفس اللفظ والحروف بواسطة

أل عن بعض الأمور، فلا يجيب عنها، وربما مر على سكوته زمن طويل، حتى إذا نزلت آية في شأن ذلك السؤال، استدعى السائل وتلا عليه ما نزل من القرآن في شأن سؤاله، وربما تصرف في بعض الأمور على و

لنبي - صلى الله عليه وسلم - أربعين سنة بين قومه واشتهاره فيهم بالصادق الأمين؛ ليستدعي أن يكون من قبل ذلك صادقا مع نفسه، ولذا لا بد أن يكون قد قضى في دراسته لظاهرة الوحي على أي شك يخايل

(فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرءون الكتاب من قبلك لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين (94))

(يونس)

، وحاشاه - صلى الله عليه وسلم - أن يشك أو يسأل وهو المنزه المعصوم، وإنما الخطاب خرج مخرج الخاص وأريد به العام ([6]).

رضنا أن القرآن وحي نفسي، فهل يعقل أن يكرر الرسول - صلى الله عليه وسلم - كل عام هذا الكم الهائل دون أن يغير فيه بتقديم أو تأخير أو تعديل؟! هذا مع الأخذ في الاعتبار والإقرار من كلينا بأمية النبي - ص

ة:

ارون فيه - قوة خارجية تتصل بالنفس المحمدية حينا بعد حين، وهذه القوة أعلى من قوته - صلى الله عليه وسلم - بدليل ما تحدثه في نفسه - صلى الله عليه وسلم - وفي بدنه من الآثار العظيمة، وهي قوة خيرة

لناس بعضهم لبعض، فالناس قد يوحون زخرف القول غرورا، وكثيرا ما يترك وحيهم في نفس متلقيه أعراضا عقلية أو بدنية يصعب علاجها. فأين هذا من الوحي بين رسولين مؤيدين اصطفاهما الله لرسالته: رسو

(الله أعلم حيث يجعل رسالته)

(الأنعام: ١٢٤).

ى الله عليه وسلم - أراد بنسبة القرآن إلى الوحي الإلهي أن يجعل لكلامه حرمة تفوق كلامه حتى يستعين بهذا على استجابة الناس لطاعته وإنفاذ أوامره، فإنه صدر عنه كلام نسبه لنفسه فيما يسمى بالحديث النبو

بير من القرآن - لا يماري عاقل في أنه لا يعتمد إلا على التلقي والتعلم؛ فلقد ذكر القرآن أنباء من سبق من الأمم والجماعات، والأنبياء والأحداث التاريخية بوقائعها الصحيحة الدقيقة مع طول الزمن الضارب في أ

ي القرآن أنباء دقيقة تتناول الأرقام الحسابية التي لا يعلمها إلا الدارس البصير ففي قصة نوح عليه السلام:

(ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما فأخذهم الطوفان وهم ظالمون (14))

(العنكبوت).

ف:

(ولبثوا في كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعا (25))

(الكهف)

ل الكتاب ثلاثمائة سنة شمسية، والسنون التسع هي فرق ما بين عدد السنين الشمسية والقمرية، فمن أين أتى محمد - صلى الله عليه وسلم - بهذه الدقائق الصحيحة لو لم يكن يوحى إليه وهو الرجل الأمي الذي

صيلية عن بدء الخلق ونهايته، والحياة الآخرة وما فيها من الجنة ونعيمها، والنار وعذابها، وما يتبع ذلك من الملائكة وأوصافهم ووظائفهم، وهذه معلومات لا مجال فيها لذكاء العقل، ولا لقوة الفراسة ألبتة.

بيعة ما انطوى عليه اللقاء الأول بين النبي - صلى الله عليه وسلم - وجبريل - عليه السلام - وما أصاب النبي - صلى الله عليه وسلم - أثناءه وبعده من خوف وما أصابه من فتور الوحي - ليعلم أن كل هذا شاهد صد

المراجع

ورة، ط1، 1424هـ/2003م، ص306 بتصرف.

ويت، ط2، 1426هـ/ 2005م، ص67 بتصرف.

ويت، ط2، 1426هـ/ 2005م، ص68 بتصرف.

4. [4]. أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم (3)، وفي مواضع أخرى، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله (422).

5. [5]. أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، سورة العلق (4671)، وفي مواضع أخرى، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله (425).

[illegible]، 1425هـ/2004م، ص41: 35.